مجلة الإحياء، المجلد 24، العدد: 35، سبتمبر 2024، ص - ص: 345 - 364
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

أثر الفلسفات التنويرية في بعث تاريخية ونقد الأديان
ـ دراسة تأسيسة نقدية لمشروع العلمانية العالمية ـ

The Impact of Enlightenment Philosophies on Historicism and Criticism of Religions - A critical foundational study of the project of global secularism.

د/ مصطفى بلعباس
Mustapha BELABBAS
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان-
مخبر الدراسات الشرعية
Hocine.barkat@univ-msila.dz

تاريخ الإرسال: 2024/03/15 تاريخ القبول: 2024/06/27

الملخص:
إن صراع الفكر الديني مع الفلسفة والعلم في المنظور الأوربي الغربي ولّد فلسفات وضعية نقدية وقراءات تحرّرية؛ قراءاتٌ تؤسّس لنسق مفاهيمي مبني ومُؤمن بالعقلنة والأرخنة والعلمنة والأنسنة. فقد قامت المادية والفلسفة الإنسيّة والوجودية والنسبية على أنقاض الفكر الديني الكلاسيكي، وهي تمثّل الملامح الجذرية الأولى التي أسّست لنقد ونقض وقراءة النصوص الدينية.
لتبرز إشكالية التاريخية بتجليّاتها، وتأخذ أبعاداً فلسفية جديدة في المنهج التاريخي الإنساني، لتصبح مسألة القراءة متعلقة بتأويل وفهم الشرائع والأديان مادياً وتطوّرياً ونسبيّاً وتاريخياً، بعيداً عن كلّ غيب أو ميتافيزيقا. لنصل ببحثنا إلى حقيقة تاريخية الأديان؛ باعتبارها فلسفة تنطوي تحتها نظرة عقلانية للكون والوجود، متجاوزة للميتافيزيقا متمرّدة عن اللاهوت، وفق أرضية تضع الإنسان في قلب العملية التاريخية، بهدف التحرّر التدريجي للإنسان عن طريق جدل إيديولوجي وثورة ثقافية يتجاوز بها الموروث والقديم عبر فلسفة واقعية تبلورها التاريخية، ويمهّد من خلالها لتدشين مشروع العلمانية العالمية.
الكلمات المفتاحية : الفلسفات التنويرية؛ نقد الأديان؛ القراءة التاريخية؛ النصوص الدينية.

Abstract:
The struggle of religious thought with philosophy and science in the Western European perspective has generated critical positivist philosophies and emancipatory readings; readings that establish a conceptual paradigm based on rationalisation, historicisation, secularisation and humanisation. Materialism, humanism, existentialism, and relativism were founded on the ruins of classical religious thought and represent the first radical features that laid the foundation for critiquing, refuting, and reading religious texts.

The issue of historicity emerges in its manifestations and takes on new philosophical dimensions in the human historical method, and the issue of reading becomes related to the interpretation and understanding of laws and religions in a material, evolutionary, relativistic, and historical manner, away from any unseen or metaphysical reality. Our research leads us to the reality of the historicity of religions as a philosophy that encompasses a rational view of

the universe and existence, transcending metaphysics and rebelling against theology, on a platform that places man at the centre of the historical process, with the aim of gradually liberating man through an ideological debate and a cultural revolution that overcomes the inheritance and the old through a realistic philosophy crystallised by history, and paves the way for the launch of the global secularism project.

Key words: Enlightenment philosophies; critique of religions; historical reading; religious texts.

مقدّمة:

ظهرت بعد القرن السابع عشر فلسفة الأنوار، والتي مثّلت عصر التنوير الذي انبثق عن حركة أوروبية فكرية علمية ونهضة إنسانية بقيادة فلسفات وفلاسفة اشتبكوا مع الأصولية المسيحية التي امتلكت الوصاية على العقول والعلوم آنذاك. إن عصر التنوير أو ما يُعرف بعصر انتصار العقل ونصرة العلم، ليس إلّا إيذانا بحقبة بشرية جديدة يتسيّد فيها العقل الإنساني وحده الكون والطبيعة، مُتَرَبِّعًا على عرشِ أدواته المعرفية: العِلم والفلسفة.

إنّ قيم التنوير المتمثلة في العقل، والعلم، والحرية، والتقدّم، والسعادة، قد شكّلت العالم الغربي منذ بداية القرن الثامن عشر. وإن أهم الحروب التي خاضها التنوير هي حروب العلم مع الدين والعقائد، فقد اشتمل التنوير على مجموعة من الأفكار التي تركز على سيادة العقل والأدلة والوجود بوصفه مصدرًا أساسيًا للمعرفة، بالتركيز على المنهج العلمي والنقد والتشكيك المتزايد بالمواريث الدينية، لذا اصطلح عليه كذلك بعصر نقد الأديان.

لقد نظرت الفلسفات التنويرية عموما إلى الدين أنه تجربة تاريخية منجزة، وتصوّرات دينية نسبية فاعلة. فالدين إذن لا ينفك عن المعطى الوجودي الخاص بالإنسان الذي يفرض فيه حرّيته واختياره. فكل التجارب التاريخية والتصورات الفاعلة يجب إخضاعها إلى المناقشة العقلية والنقدية، لتتبلور فكرة التاريخية في الفلسفة الغربية الحديثة، وهي تفضي إلى أن كل شيء مُموقع في التاريخ بما في ذلك الحقيقة. واستُثمرت بشكل تداولي بامتياز في الغرب، لا سيّما في المجالين الفلسفي والديني.

ومن هنا تتأكّد الدلالة المادية للتاريخية؛ بما وُظفت له لنقد ميتافيزيقا الأديان وفلسفتها الغيبية ضمن شروطها التاريخية، بالتوجّه بها إلى الإيمان بالموجود والمادة كأساسين للحضارة والإنسانية، ونقد عقائد الدين، وإلى إقصاء الاستعمال الأصولي واللاهوت الكنيسي، باعتبارها تجربة مقيّدة بظرفية الزمان والمكان.

لتُعلن هذه الأفكار عبر صيحات عديدة أعلنها مُفكّرون وفلاسفة، مثل موت الإله، وأُفول التديّن، وعلمنة العقائد، ونسبية المعارف الدينية... وذلك بالتزامن مع الثورة العلمية والصناعية، وتفكُّك البُنى الاجتماعية والدينية التقليدية لصالح العقلانية العالمية. كل هذه القيم أدّت إلى انبثاق نظام المدنية الغربية والحداثة العالمية التي قادت العالم وما تزال تقوده بمختلف الوسائل النظامية السلمية والسياسية والعسكرية إلى يوم الناس هذا.

مشكلة البحث:

من خلال ما سبق ذكره، يمكننا أن نطرح ما يلي:

- ما هي هاته الفلسفات التنويرية التي بعثت فكرة تاريخية الأديان؟ وما حقيقتها وصلتها بنقد الأديان؟
- ثم كيف تمّ توظيف آلياتها الإجرائية من أجل بناء النسق العلماني في الفكر والوجود؟

- وما هي مُخرجاتها الحداثية التي صاغت فكرة العلمانية الشاملة؟

أهداف البحث:

1- تحليل مكوّنات النسق التصوّري للفلسفات التنويرية، وتفكيك العناصر المكوّنة للرؤية المادية والإنسانوية، ومعرفة إرهاصات التحوّل الوظيفي نحو بعث إعادة قراءة ونقد النص الديني.

2- تحقيق الوعي المنهجي والعلمي بالمناهج العقلانية وأبعادها الأنطولوجية، واستحضار آلياتها الإجرائية، وبيان آليات ومظاهر العقلنة والأنسنة والتورخة للنصوص الدينية من خلال هذه الفلسفات التي تأسّست وتمحورت على نقد النصوص وتفكيكها.

3- معرفة مخرجات هاته الأفكار التحرّية والمذاهب الفكرية التي ألقت بظلالها على الفلسفة الدينية الغربية والعربية.

اقتضت دراستي اعتماد المناهج التالية:

المنهج الاستقرائي: قمنا باستقراء نشاط الفسفات التنويرية في الساحة النقدية الدينية في الغرب، وما أثمر عن ذلك من مدارس فكرية ونقدية متنوعة المآخذ والمناهج والروّاد، واتجاهات فلسفية في العصر الحديث؛ غذّت أفكاراً ومناهج متنوّعة.

المنهج التحليلي: وذلك بتحليل المناهج والمصطلحات والأفكار، وجملة الآراء الفلسفية.

المنهج الوصفي: التزمت بالمنهج الوصفي شارحًا وباحثًا للفلسفات الحديثة التي كانت التربة الخصبة لإعلان تاريخية الأديان. واهتممت بوصف العلاقة بين أفكار هاته الفلسفات وأثرها في بلورة الفكر الديني المعاصر، وكذا إسقاطات الرؤية الوجودية والوضعية في تفسير وشرح النصوص اللاهوتية.

المبحث الأول: التعريف بفكرة التاريخية وعلاقتها بالفلسفة التنويرية

لقد بعث العقل الأوروبي المشاريع الفكرية لنقد الأديان، وعزّز مقولاته النقدية المنهجية بجملة من الفلسفات والتيارات الفكرية التي عرفتها الإنسانية في عصورها الحديثة. فلقد عرفت المناهج الفلسفية والنقدية الجديدة انفتاحا جديدا على النصوص الأدبية والدينية قصد إعطاء النص إطارا تجديديا، ونظاما معرفيًا تنويريًا، نظرا للرهانات الفكرية الجديدة، والمتغيرات الواقعية والاجتماعية الجذرية، حتى تربط المفاهيم بأرضيتها التاريخية، وأُطرها الاجتماعية، النفسية، والواقعية، لترسم في الأفق فلسفةً دينية علمانية جديدة تعتمد المعارف العقلية في تأويل ونقد الأصل الديني.

المطلب الأول: مفهوم فكرة التاريخية

نظرًا للتطوّر الذي شهدته الدراسات اللغوية منذ القرن 18م، ظهرت اتجاهات تتعامل مع النص من خارجه لفهم مضمونه وما بداخله، فكان المنهج التاريخي أوّل هذه المناهج النقدية التي استعانت بالوقائع والأحداث والتاريخ لتفسير الظاهرة الأدبية المدروسة، والذي مرّ بعدّة تحوّلات فلسفية وعلمية زادته دقّة وتقعيدًا وضبطا، كما زادته فلسفةً وتعقيدًا ونقدًا.

لتتمظهر حقيقة العلاقة على مستوى الآليات المنهجية ذات الأبعاد الثلاثية في الدائرة التاريخية أو العملية الأدبية (النص، المبدع، المتلقي). ففكرة التاريخية تتموضع داخل إطار إشكاليات المنهج التاريخي الجديدة، نظرًا للتحديث المتأخّر لماهوية المنهج ونظامه المعرفي الجديد. فقد أصبح المنهج التاريخي متّصلًا بعلائق فلسفية نقدية، وأنساق معرفية أنطولوجية وجودية، وأسيقة تاريخية وثقافية راهنت على الأثر التاريخي في ظلّ ظرفيّته الأرضية والزمانية.

إنّ مما عنى به أصحاب المنهج التاريخي في عمليته المنهجية بمحاورها الثلاثة؛ استهداف المفاهيم والمقدّمات المعرفية، نظراً لآلياته الشكّية والنسبية، وكما قد ركّز على وظيفته الكلاسيكية للمؤرّخ؛ قد بعث مشروعه الجديد الذي تبدّى مع فكرة التاريخية، ألا وهو إرساء الوعي الإبستيمولوجي العلمي للظاهرة المدروسة، والتي كان من ضِمن أولوياتها نقد الفكر السائد والفهم المتوارث، عبر تعرية الأثر التاريخي عن كلّ ما علق به، وتقديمه لمشرحة التاريخ وطاولة التشريح، والنظر إلى المادة التاريخية كمرآة تعكس ظروفًا سياسية واجتماعية وثقافية متنوعة، فيتخذ من تلك الحوادث والظروف الاجتماعية والتاريخية وسيلة لتفسير الحادث الأدبي أو التراثي أو الديني، وتعليل ظواهره وبيان خصائصه.

فالتاريخية تعني: "أن للأحداث والممارسات والخطابات أصلها الواقعي، وحيثياتها الزمانية والمكانية، وشروطها المادية والدنيوية، كما تعني خضوع البُنى والمؤسسات والمفاهيم للتطوّر والتغيّر، أي: قابليتها للتحويل والصرف وإعادة التوظيف"[1]. وهذا من أجمع تعاريف التاريخية التي ركّزت على البنية الواقعية، والمشرب الزماني والمكاني لتكوين النص. كما يحوي إشارة لبنيته المادية التي تشكّل منها، والسياق الذي احتفّ به والمحيط الذي تشكّل فيه. ليُخْلَص بعد تمرير النص على مشرحة التاريخية إلى نقد الظاهر والباطن. لتتقمّص فكرة التاريخية هذه المهمّة الجديدة للمنهج التاريخي كإفراز فكري تبلور منذ الثورات الصناعية، والصحوة العلمية في الغرب إلى غاية القرن 19م، وهو القرن الذي توّجت فيه الثورة في مختلف المجالات العلمية والحياتية؛ ليتقلّد مهمّة مواجهة النصوص اللاهوتية، لذا عُدّت كلمة **"التاريخيّة"** مرادفة للنصوص الدينية، وإحدى دعائم النقد ومناهج التأويل. فالتاريخية إحدى المقولات التي ارتبطت بالحضارة المادية الفلسفية، لأنها عقيدة تؤلّه الأحداث والوقائع، ولا تؤمن بالغيب أو ميتافيزيقا الأديان، أو القصص والأساطير.

ومنه فإن التاريخية تخلُص إلى رفض كل القيم والمبادئ المطلقة، فالإنسان هو الذي يفهم نفسه في التاريخ، ولا تملي عليه العقائد والقيم أي فهم أو تفسير، وعلى ضوء الإنسان ومتغيّراته يتحدّد فلك دلالة النص. إنه التوجّه بالتدريج إلى **أنتروبولوجيا**[2] الأديان.

ومن هنا تتأكّد دلالتها المادية؛ بما وُظّفت له لنقد ميتافيزيقا الأديان وفلسفتها الغيبية ضمن شروطها التاريخية، بالتوجّه بها إلى الإيمان بالموجود والمادة كأساسين للحضارة والإنسانية، ونقد عقائد الدين، وإلى إقصاء الاستخدام اللاهوتي والإيديولوجي الكنيسي باعتبارها أساطيرًا حُكم عليها بالتاريخية والظرفية، باعتبار أن التاريخية مذهب ينطلق من فرضية وجود مسار موضوعي (وضعي)، أو اتّجاه عام، غائي، سببي، أونسبي، يقوم على قوانين تحكمه، ويمكن بناء الحكم على أساسها[3]. فهي فلسفات تؤكِّد على بطلان المعقولية الدينية، وتعيد الاعتبار للعقل التاريخي أو المؤرّخ أو الناقد والقارئ، يرى ويقرأ ويفهم ويحلّل ويفرض سلطته على النصوص. لترتبط بذلك التاريخية بشبكية فلسفية متعدّدة، ساهمت في بروزها ونَمائها وتطوّرها.

ولسنا في هذا المقام نكتفي بالتقديم لهذه الفلسفات، بقدر ما نقدّمه من علاقة التأثير والتأثّر التي حصلت بين هذه النظريات والفكر الديني الأوربي، والتي كان من مُخرجاتها: تاريخية الأديان.

- فما هي هاته الفلسفات التي مثّلت جذور التاريخية؟ وكيف كان ارتباطها بنقد وتأويل النصوص الدينية؟ وكيف أرست معالم الحداثة العالمية؟

المطلب الثاني: صلة التاريخية بالفلسفات التنويرية[4]

إن فكرة التاريخية ظهرت لتأخذ أبعادًا تتجاوز حدود التأريخ والجمع والرواية، فهي: "منهج ونظرية شاملة في الحياة، إنها وجهة النظر التي تنظر إلى العالم بوصفه مجال فعل الإنسان باعتباره الكائن الوحيد الواعي، ومن ثمّ لا يكون هناك مجال للحديث عن أيّ معرفة أو خبرة إلا بالنسبة للإنسان، فالإنسان هو الكائن التاريخي الوحيد"[5].

فالتاريخية تؤمن بعقائد مختلفة هي في حقيقتها ترسّبات لمناهج فكرية ونظريات فلسفية، آمنت بالتطوّر التاريخي وماديته وأنسنته ونسبيته. وقد تأثّرت التاريخية بوجودية وتأويلية **غادامير**[6] و**دلتاي**[7] الذين اعتبرا أن التاريخية تعني تراكماً لخبرة الوجود في الزمن[8]. إضافة إلى الصيغة التأويلية الجديدة **لشلايرماخر**[9]. "فالتأويلية التي طوّرها **شلايرماخر** أدّت إلى فهم شمولي للعلوم التاريخية وما من شكّ في أن الخطوة المهمة في تطوّر الوعي التاريخي هي أن الفهم والتأويل-فهم الكتاب المقدّس القديم وتأويلهما- انفصلا كليا عن أيّ تأثير دوغمائي"[10].

ليوجّه المسار **بول ريكور**[11]، ويعتبر التاريخية ليست منهجا، وإنما هي طريقة في الفهم حسب المؤرّخ الدارس للظاهرة باعتباره عنصراً من الظاهرة التاريخية[12].

واشتهر الناقد **هيردر**[13] "بكتابته عن **النسبية التاريخية**، وكانت تمثّل فكرة جديدة في ذلك الزمان، فكل شعب يتخيّل أن دينه أو تراثه شيء كوني أو مطلق لأنه يعيش داخله كالعصفور داخل القفص، ولأنه لم ير غيره. ولكن في الواقع لا يوجد تراث مطلق مهما كبر حجمه واتساعه وانتشاره، وإنّما عدة تراثات نسبية للبشرية"[14]. أي نسبية أي قناعة تراثية أو فكرية. ولابدّ من الإشارة هنا إلى أثر الفلسفة الماركسية والهيجلية، والإسقاطات الجدلية والمادية في تكوّن النزعة التاريخية.

إن غربية النشأة والبناء للتاريخية جعلها "تقوم بتجربة تاريخية أكثر حيوية وأكثر محسوسية، وذلك تحت تأثير الحداثة العقلية (مع **ديكارت**[15] و**ليبنتز**[16] **وغاليلو**[17]، و**نيوتن**[18]، وفلسفة التنوير... إلخ)، ثمّ **الحداثة**[19] المادية نتيجة لتدخل الآلهة: هكذا، بمواجهة الحقيقة المستوحاة التي تعلّمها المسيحية، راحت تنبثق سلطة روحية علمانية تؤكّد على إمكانية العقل البشري في أن يفتتح المعنى والقوة باستقلالية كاملة"[20]."وقد ارتبطت التاريخية بأشكالها بالفلسفة الوضعية والنظرة **الفيلولوجية**[21] التي سادت القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن"[22]. "ومن المعروف أن التاريخية (كعقيدة وكمنهج في الدراسة التاريخية) كانت في أوجّ انتصارها إبّان القرن التاسع عشر، وأن صعودها قد ارتبط بنجاح الفلسفة الوضعية **لأوغست كونت**[23]"[24].

- فما حقيقة هاته الفلسفات التنويرية؟ وما صلتها بتاريخية ونقد الأديان؟

المبحث الثاني: النزعة الإنسيّة وأثرها في عقلنة النصوص الدينية

لقد عرف الفكر الفلسفي الغربي عموما تشابكا في النظريات وتداخلا، وتأثيرا وتأثّرا فيما بينها. كما يشهد الحقل الفلسفي تمازجاً بين الفلسفات بالبناء والتقويض، أو الصياغة الجديدة للأطروحات والنظريات الفلسفية. وتحتلّ النزعة الإنسية بدون شكّ مركزية دائرة الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة، وخاصة في فرنسا منذ النصف الثاني من القرن العشرين. وتُعرف النزعة الإنسية على أنها اتجاه فكري عام تشترك فيه العديد من المذاهب الفلسفيّة والأدبيّة والأخلاقيّة والعلميّة، ظهرت واكتملت بوضوحٍ في عصر النّهضة.

كما تُشكّل النّزعة الإنسانيّة تيارًا ثقافيًا ازدهر في أوروبا في القرن التاسع عشر، تيارٌ ينظر إلى العالم بالتركيز على أهمية الإنسان ومكانه في الكون، فهي تمثّل مذهبا فلسفيا أدبيا ماديا لا دينيا، يسعى للتأكيد على فردية الإنسان أمام سلطويّة الدّين، ويُغلّب وجهة النّظر المادية الدنيويّة على السلطة الدينية التي شكّلت سلطويّة على الإنسان خلال العصور الوسطى، باعتبارها نظام أو طريقة في الحياة تعطي الأولوية للعقل الإنساني، وليس لأي قوى ميتافيزيقيّة أو إلهيّة.

فهي فلسفة تجمع بين عديد المفكّرين والمنظّرين الغربيين من الفلاسفة وتياراتهم المتجاورة، والتي كان لها كبير الأثر في مشروع الحداثة الغربية، وصياغة العقلانية الجديدة، وبعث تاريخية الأديان، وإعادة النظر في مصدرية النصوص الإلهية وأنسنتها. "وصار يطلق صفة فلسفة ذات نزعة إنسانية على كلّ فلسفة:

- تهتم بالإنسان وتخصّه بمكانة ممتازة في العالم، وفي تطوّر التاريخ، وفي سيرورة المعرفة، وتعتبره قادرًا على المبادرة وعلى الإبداع.
- تؤكّد على أولوية الوعي والإرادة في كلّ مشروع تأسيسي.
- تنطلق من الذات والذاتية، للبحث عن شروط تأسيس الموضوع والموضوعية.
- تؤمن بأن المبادرات البشرية تساهم في صناعة التاريخ، وأن التاريخ يحقّق نوعا من التقدّم، وأن لذلك التقدّم اتجاهًا ومعنى مرتبطين بفعاليات وأهداف بشرية"[25].

ومنه، فالإنسانوية نسق فكري أوربي النشأة والبناء، فقد ساد في حقبة تاريخية انفتح فيها الفكر الغربي الحديث، وتحرّرت فيه الحركات الفلسفية، وانفتحت العلوم العقلية والنظريات العلمية، حتى عرف بـ **"عهد أو عصر التنوير"**. عصرٌ انتشر معه الكفر والإلحاد، والفلسفة المادية، والنزعات الإنسية. واتّضحت أبرز معالم عصر التنوير في تأليه العقل وإعلاء سلطانه، ونقد الكنيسة واللاهوت، وتقديم العقل، واعتبار المادة والعلم.

- فما تجلّيات الفلسفة الإنسية على الفكر العالمي؟ وما أثر تأليه العقل والإنسان على تاريخية الأديان؟

المطلب الأول: مفهوم الفلسفة الإنسيّة

الإنسانية تدلّ على: "ما اختصّ به الإنسان من الصفات، وأكثر استعمال هذا اللفظ في اللغة العربية إنّما هو للمحامد، نحو الجود، الكرم وغيرها. والإنسانية عند الفلاسفة القدماء هي المعنى الكلي المجرّد الدّال على ما تقوم به ماهية الإنسان"[26].

أطلقت تسمية **النزعة الإنسانية** منذ عصر النهضة في أوربا على المفكرين والفلاسفة الذين أعلوا شأن الإنسان، وآمنوا أنه مصدر ومعيار كل شيء.[27] **فالإنسانية** "مصطلح يدلّ على عدّة حركات وتوجّهات قامت في أوربا، منها: حركة فلسفية كانت تدعو إلى القيمة الإنسانية، كانت ترجّح التفكير العقلاني وتفوّق ذاتية الإنسان، وحركة انتشرت وسط الأدباء والمثقفين عمومًا منذ القرن 16م -عصر النهضة-. والإنسانية العلمانية التي هي فلسفة تعلي من شأن العقل والأخلاق والعدالة، ترفض التقاليد والطقوس الدينية لاستمرار الحياة"[28].

فالنزعة الإنسانية كفكر فلسفي عام ظهر في بدايات عصر التنوير، بدأت بمهمة إعادة الإنسان إلى الحياة بعد سيطرة ومحاصرة المسيحية والقوانين الأرسطية واليونانية، لتتمرّد على التصورات اللاهوتية السائدة، والأفكار والتعاليم الزائفة التي سحقت الفكر الإنساني وقيمه في الوجود، باعتبار أن أصحاب العقول هم صنّاع الحياة والفكر والحضارة.

"إن النزعة الإنسية هي كل نظرية أو فلسفة تتّخذ من الإنسان محوراً لتفكيرها، وغايتها، وقيمتها العليا"[29]. فالإنسيّة تنطلق من الإنسان وللإنسان.

ويُطلق عليهم أصحاب النزعة الإنسية، لأنها تشكّلت كردّة فعل ضدّ العقائد الدينية المسيحية في أوربا، التي دعت إلى ترك العقل وحاكميته على الحياة، للتحوّل إلى السلطة البديلة بدل الكنيسة التي تقرّر وتسطّر حياة الناس.

أي أن الإنسانية تنصرف وتتحوّل تدريجيا نحو الإلحاد لا إلى معقولية أو إنسانوية الأديان فقط، بل إنّها شكلٌ من أشكال الإلحادية المعاصرة والمقنّنة بنظريات التطوّر والعلم والعقل.

المطلب الثاني: النزعة الإنسية وتأسيسها لعقلنة الأديان (من تأليه العقل إلى تأنيس النص)[30]

لقد انتعشت الأنسنة في عصر التنوير؛ يوم تحرّرت أوروبا من اللاهوت الظلامي للقرون الوسطى، "أين كان الخروج من القفص، والتفكير في الهواء الحرّ الطّلق أمرًا مستحيلاً، حيث كان العقل مذعنًا مطيعًا، وكانت الفلسفة خادمة لعلم اللاهوت الكنيسي"[31]. لتنتقل الأنسنة إلى الفهم الحديث والمستنير للدين.

وقد ظهرت طليعة من المفكّرين والفلاسفة والمثقفين في عصر التنوير بأفكارهم ومكتشفاتهم ومخترعاتهم، آمنوا بسلطان العلم وحاكمية العقل، اتفقوا على سحب البساط من أديان الوحي، سعيًا لتكريس الفلسفات التنويرية، وإذكاء لفتيل النظريات الإنسانية. "ارتبط ظهور الأنسنة أو المذهب الإنساني عموما بعصر الاصطلاح الديني، وعصر النهضة في أوربا في القرنين 15م و16م، حيث بدأ التحوّل في تلك الفترة من الدين إلى العلم، ومن الله إلى الإنسان، ومن الماضي إلى الحاضر والمستقبل"[32].

فالأنسنة فتحٌ من فتوح التنوير، فلقد "شكّلت الأنسنة مدخلاً إلى التنوير الأوربي، وأحد أعمدة الحداثة الغربية، خاصّة وأن **الأنسنة تتمفصل مع العقلانية والعلمانية والتاريخية**"[33].

لتظهر فيما بعد **الإنسانية العلمانية**، وهي: "فلسفة إنسانية تعلي من شأن العقل، الأخلاق والعدالة، لكنّها ترفض التقاليد والطقوس الدينية كوسيلة لضمان صلاح الإنسان وجودة الحياة الاجتماعية، وقد درج هذا المصطلح في القرن العشرين، ليشير بوضوح على الفارق عن الإنسانية الدينية"[34]. أين نلاحظ اتجاه الفلسفة الغربية نحو الدعوة إلى تفسير الأديان والنصوص اللاهوتية تفسيرات مادية تاريخية، وعقلانية فلسفية. وقد اتّحدت اتجاهات فلسفية متنوعة تقاسمت بنظرياتها تاريخية الأديان، وأنسنة النصوص اللاهوتية، وأخضعتها للنظريات الإنسانية. فقد احتلّت نظرية الإله مركزا هاما في الفلسفة لدى المذاهب العقلية الحديثة بداية من القرن 17م، إذ جُعل الإله وسيلة لخدمة أغراض المذاهب نفسها[35].

ويمكن أن نذكر في هذا المقام فلسفات وفلاسفة تبنّوا تفسير الشرائع والأديان تاريخياً على سبيل التمثيل لا الحصر، **منها:**

اتّفق **ديكارت وسبينوزا**[36] **وليبنتس** في أصول مذهبهم الإيماني، موظّفين لنظرياتهم العلمية وقناعاتهم الفكرية في بعث فلسفة الإله. فقد أدخل **ديكارت** مثلا الإله ضمن مبادئ مذهبه، فالإله عنده يتجلّى في العالم المادي الوجودي، وبوصفه أساسًا لليقين وللفيزياء الفلسفية[37]. فهم يرون في الإنسان المخوّل الوحيد لتجسيد إرادة الله في الكون، بالاعتماد على مبادئ العالم الوجودي وقوانينه الطبيعية والفيزيائية، بالاعتماد على العقل كخليفة لله في الأرض.

انتهى **ديكارت** من النزعة الوجودية الفيزيائية، ليتمّ المسار **سبينوزا** بالنزعة الطبيعية، ويكرّس هذا الإتجاه لينكر العلو الإلهي، ويعتبر الإله جزءًا من الطبيعة[38]. "وفي الحقيقة أن النزعة العقلانية خلال

القرن السابع عشر امتدّت على يد الفيلسوف اليهودي **سبينوزا** إلى مسافات بعيدة"[39]. ويعتبر **سبينوزا** من أوائل من أسّس النقد التاريخي للكتاب المقدّس.

وتصنّف فلسفة **أوغست كونت** بعبودية الإنسانية، بوضعه لدين إنساني يعبد فيه الإنسان وعقله من دون الإله. "إنّه ينعت دينه بالواقعي، فدينه ثمرة العاطفة والخيال في تكوينه والإحساس به، حيث وضع العقل في المحلّ الأول، فيستبدل الإنسانية بالله في كل موضع منه، ويستعين به على تعمّق فكرة الإنسانية والإخلاص لها"[40]. أي أن الدين خاصية النوع الإنساني.

ثمّ ليبشّر **نيتشه**[41] **بموت الإله**[42]، وهو يمثّل النزعة الإنسانية الملحدة، فهو يريد بهذا الموت إعادة الاعتبار لعقلانية الإنسان المتحرّرة.

فالعقلانية هي: "جوهر الأنسنة، فالعقلانية التي تقوم على تنزيل العقل منزلة السلطة المرجعية المعرفية الوحيدة في إدراك العالم الطبيعي والاجتماعي، تجعل الإنسان هدفها الأول والأخير عندما تحرّره من كلّ أشكال المرجعيات الدينية الأخرى"[43]. إنها رؤية تعتمد المنطق الفكري والاستدلالي كمصدر للمعرفة والاستنباط، وهي تتشابه كثيراً من حيث الإيديولوجية والأهداف مع الحركة الإنسانية التي تركّز على الاستنتاجات العقلية لفهم الأمور والحقائق.

"لقد بات الإنسان مصدر المعرفة ومرجعها الأول بدل النص المقدّس، عن طريق العقل"[44].

المبحث الثالث: الفلسفة الوجودية وأثرها في بعث أنتروبولوجيا الأديان

منذ عصر النهضة في أوربا لم يتوقّف مسار نسق المعارف العلمية والعقلية المتراكمة التي قدمت قضايا كبرى متعلقة بالإنسان والوجود والإله والحياة. وقد كانت لكلّ فلسفة طروحاتها ومعارفها ومنظارها الخاص للحياة، لتكون في منظار الفكر الغربي نقطة تحوّل كبرى من ظلامية المسيحية الكنيسية السماوية الغيبية، إلى نعيم المعارف العقلية والعلوم الفلسفية الإنسيّة، لتفرض قواعدها ونُظمها على الأديان، معتبرة الوجود والمادة أساس الحياة.

وإن أشهر وأقدم المذاهب التي تجدّدت عبر العصور، واتّجهت سهامها للعقائد المسيحية نقدا ونقضا **الفلسفة الوجودية**.

المطلب الأول: مفهوم الوجودية

تُطلق **الوجودية** على: "جملة المذاهب التي ترى أن الإنسان هو الوحيد الموجود، وأن كلمة وجود لا تنطبق إلا عليه، أما غيره فهو كائن"[45]. أي أنّ الفلسفة تؤمن بالحاضر والموجود، والذي يقابله الغائب والمفقود. لذا فهي تعلي شأن وجود الإنسان، باعتباره أقدس كائن حي. "والوجود في الفلسفة الوجودية تقتصر على ذلك اللون من الوجود الذي يتمثّل في الإنسان"[46].

فالوجودية تطمح للوصول بأفكارها إلى فلسفة تضع الإنسان حرًّا متحرّرا عن كل شيء، يحيا في حياة يفرض فيها وجوده وذاته، فهو أولا وآخرًا، يفسّر الأشياء بنفسه كما يشاء، أي أنه صانع نفسه ووجوده، وفي كلّ زمن يفهم ذاته أكثر فأكثر، حسب ما صنعه واخترعه وكوّنه واكتشفه.

إن الوجودية ليست مذهباً بقدر ما هي صرخة للتحرّر من سلطة الجماعة، وسلطة العادات، والتقليد المتوارث.

المطلب الثاني: تأسيس الوجودية لعلمنة وعقلنة الفكر الديني

استمّرت عموم المذاهب التنويرية والفلسفات الإنسانية في عدائها للأديان عامة والمسيحية خاصة، كالإنسانيين والعلمانيين والعقلانيين والوضعيين والماديين والوجوديين والماركسيين، فلسفات تمجّد

الإنسان والعقل والوجود، واعتبار الديانات الإنسانية ماهي إلا استرجاع لحوادث تجاوزها الزمن، وصنّفت في خانة تاريخية الأديان.

"فالوجودية تشبه الماركسية في إنكار الألوهية"[47]. وقد كان أبرز أعلامها **جون بول سارتر**، زعيم الوجودية التي تركزّت في فرنسا. فوجودية **سارتر** "تضع الإنسان هو الخالق الوحيد لمعنى القيّم في العالم، وهو لهذا السبب يؤكّد أن الوجودية مذهب غير متديّن، لأن الإنسان فيها متروك لذاته، كيما يخلق ويحقّق في عالمه ما يستطيع من القيم"[48]. أي أن الإنسان في جوهره يكون إلهًا يخلق ويبدع ويصنع، ولاشيء يحدّ سلوكه ويقيّد حرّيته. فهذه العقائد نُسخٌ طبق الأصل لعقائد الفلسفات الإلحادية الإنسية التي أسّست **لأنسنة الوجود والفكر.**

ليصبح بعدئذ سرّ اللاهوت هو **علم الإنسان**[49]، أو تقديس الماهية الإنسانية، فالإنسان هو الإله الحقيقي الوحيد، والاعتراف بأنه مصدر الحقيقة والمعرفة. أي أن كلّ الوجود الخارجي خاضع لوجودية الإنسان الداخلي في حرية القرار والفعل، ولو كان الشيء متعالياً، فإنه يخضع للصور التي يكوّنها ويسعى لتحقيقها.

وبهذا المعنى تُعلي الوجودية راية الأنسنة، والتي قوامها ولبّ محورها وجودية الإنسان في الكون، فالأنسنة هي: "ثمرة لعصر التنوير، والانقلاب على الرؤية اللاهوتية للعالم والإنسان، أي هي ثمرة رؤية دنيوية، ومحصّلة فلسفة علمانية ودهرية. بهذا المعنى فإن الأنسنة هي الوجه الآخر للعلمنة"[50]. أي أن الأنسنة شكّلت أحد أعمدة الحداثة والعلمانية الغربية التي حرّرت العقل والفكر، وثارت على كلّ موروث ديني واعتقاد ميتافيزيقي، فآمنت بالعقل والإنسان كأساس نسقي فكري وجودي.

المبحث الرابع: الفلسفة الوضعية وأثرها في بعث تاريخية الأديان

إضافة إلى ما سبق، إن حركة التنوير في أوروبا تجسّدت كردّة فعل على الحكم المطلق الذي مارسته الملكيات الدينية والإمبراطوريات الفكرية التي حاصرت الحريات وحقوق الإنسان. فالتنوير في أوروبا كان ردا على الأحادية المتسلّطة التي لم تدع مساغا للحريات الإنسانية والفكرية، وحقوق الإنسان بأي شكل من الأشكال. فألّهت المشاريع التنويرية العقل وقدّسته، في مقابل تورخة النصوص الدينية وأنسنتها.

ولقد سلك الفكر الغربي طرائق شتى في تفسير الأديان تفسيرات مادية تاريخية عقلية معادية لكلّ غيب أو ميتافيزيقا. وإن العقيدة التاريخية التي تؤمن بدراسة الظروف التاريخية والعودة للواقع "كانت في أوجّ انتصارها إبان القرن التاسع عشر، وأنّ صعودها قد ارتبط بنجاح **الفلسفة الوضعية لأوغست كونت**"[51].

المطلب الأول: مفهوم المذهب الوضعي

الفكر الوضعي: تيار فلسفي تعتبر الثقافة الفلسفية الفرنسية المناخ التاريخي والأيديولوجي الحاضن له في بدايات العصر الحديث في القرن 19م، وهو القرن الذي سادت فيه الاضطرابات المجتمعية والسياسية في أعقاب الثورة الفرنسية الكبرى. فقد كان للصراع الدائر بين الكنيسة والطبقات المالكة والحاكمة، والتي سعت إلى الحفاظ على سلطتها وتسلّطها، وبين الطبقات المثقّفة والمتعلّمة التي أثمرت التحوّلات العلمية والعمَلية في الثورة الصناعية[52].

ولقد كان لتطوّر نظريات العلوم الطبيعية والفيزياء والرياضيات أثر هامٌّ في بنية الفكر الفلسفي الذي تغذى من روافد الثورة الصناعية والصحوة العلمية. وإن الفلسفة الوضعية أحد أكبر هاته الفلسفات

حضورا وتوقّدا. وإن الفيلسوف الفرنسي **أوغست كونت** على رأس قائمة هؤلاء المفكرين الذين اشتغلوا على هذا الاتجاه، فأعطى الفلسفة أبعادها العلمية، ومبادئها الفكرية. "وقد أطلق اسم المذهب الوضعي على المذهب الذي أسّسه في القرن 19م الفيلسوف الفرنسي **أوغست كونت**، حيث يطلق عليها اسم: **العقيدة الوضعية.**

علما أن **كونت** أراد بالوضعية أن: "يتجاوز الفلسفة المتعالية للثورة الفرنسية، ووضعي عنده يعني الواقعي والنسبي، والمعطى المباشر من التجربة"[53]. لقد نحى **كونت** بوضعيته المنحى العلمي التجريبي، وأُطلق عليها اسم **الوضعية الجديدة** فيما بعد.

المطلب الثاني: الوضعية التجريبية وتكريسها للوضعية المادية التاريخية ـ وضعنة الأديان-

نشأت الفلسفات الوضعية كنقيض لعلوم اللاهوت والميتافيزيقيا الذين يعتمدان المعرفة الاعتقادية والغيبية التي لا تحتاج للبرهنة والتدليل. وضع الفيلسوف الفرنسي **أوغست كونت** مصطلح الوضعية في القرن التاسع عشر وهو يؤمن بأن العالم سيصل إلى مرحلة في الفكر والثقافة التي سوف تنفي كل القضايا الدينية والفلسفية، وسوف تبقى القضايا العلمية التي أثبتت بالحس والتجربة، والخبرة الحسية أو الوضعية. "ويحاول المذهب الوضعي أن يخلق منهجا للبحث أو منطلقا للعلم يقف فوق التناقض بين المادية والمثالية. وإحدى المبادئ الأساسية لمناهج البحث الوضعية النزعة الظواهرية المتطرّفة، التي تذهب إلى أن مهمة العلم هي الوصف الخالص للوقائع وليس تفسيرها"[54]. أي تعالي العلم عن المظاهر الميتافيزيقة، ونوازع الفلسفة المادية.

وقد كان دافع إنشاء الوضعية التجريبية هو: "أن تكون ردّة فعل ضد الميتافيزيقا التقليدية، ومبالغات النزعة التلفيقية، ولذلك استبدلت بالفلسفة المنهج العلمي كأساس لفلسفة علمية تقوم على دراسة الظواهر لإدراكها. والمنشئ الحقيقي لهذه الفلسفة **أوغست كونت**"[55].

وهذا لأن الحرب التي قامت أوزارها في عصور التنوير كانت بين العقائد الإيمانية الدينية والعقائد العلمية التجريبية، وهذا لأن الأخيرة تميّزت بأثرها المادي الحسي الإلحادي. "فالمذهب الوضعي مذهب فلسفي ملحد، يرى أن المعرفة اليقينية هي معرفة الظواهر التي تقوم عليها الوقائع التجريبية، ولا سيما تلك التي يتيحها العلم التجريبي. وينطوي المذهب على إنكار وجود معرفة تتجاوز التجربة الحسية، ولاسيما فيما يتعلق بما وراء المادة وأسباب وجودها"[56].

وقد كان لهاته الرؤية المادية والحسيّة في الفكر الوضعي أثر في تكريس المادية التاريخية، "فالتاريخانية (كعقيدة وكمنهج في الدراسة التاريخية) كانت في أوجّ انتصارها إبان القرن التاسع عشر، وأن صعودها قد ارتبط بنجاح الفلسفة الوضعية **لأوغست كونت**"[57].

المبحث الخامس: الفلسفة النسبية ودورها في تأسيس نسبية المعرفة الدينية

أحدثت بعض نظريات العلم الاحتمالية، والفروض العلمية التجريبية ثورة في مجال الفيزياء والعلوم والرياضيات. إضافة إلى ظهور الفلسفات التنويرية التي زعزعت العقائد الدينية السائدة، وأثبتت الانحراف الفكري والديني للكنيسة. فقد أصبح النزاع بين النص الذي تعتمد عليه الكنيسة وحججها الواهية، وبين العقل والنظر الذي استند إليه أصحاب النظريات الجديدة. ما دفع إلى ثورة العلماء ودعاة التجديد مطالبين بتقديس العقل، واستقلاله بالمعرفة بعيدًا عن الوحي. ولم يجرؤ دعاة المذهب العقلي **(ديكارت)** أول الأمر على إنكار الوحي جملة واحدة، بل جعلوا لكل من الطرفين دائرة خاصة يعمل فيها مستقلاً عن الآخر.

وقد كانت الشعوب الأوروبية عموما والطبقات المثقفة خاصة يتحيّنون الفرصة لإعلان احتجاجهم والتمرد على سيطرة الكنيسة، والتي حوَت وحاصرت وامتلكت الحقيقة المطلقة. وقد كان تحت قيادة الكنيسة مختلف أنواع العلوم خصوصا الفلك والرياضيات، الفلسفة والبلاغة، الطب والصيدلة، الفيزياء والكيمياء، إلى جانب علوم الوسط الطبيعي من الحيوان والنبات، وعلوم العمارة والهندسة والبناء... فكل رأي يخالف رأي الكنيسة في أي فنّ أو علم يعاقب صاحبه أو يقتل.

وربما أبرز مثال على ذلك: لما قامت الكنيسة الكاثوليكية بتعذيب ونفي **جاليليو** لتعليمه وتأكيده على أن الأرض في الواقع تدور حول الشمس.

كل هذه التحوّلات الفلسفية والانقلابات العلمية هزت أركان العرش الكنيسي الذي دام لعدة قرون، ليصبح الفكر الديني المسيحي عموما والنصوص المقدّسة خصوصا أمام معضلة اسمها معضلة العلم والعقل. لتظهر بعد عصور النهضة والتنوير نزعات تشكيكية أثّرت كثيراً في علم اللاهوت المسيحي الحديث والمعاصر، أبرزها: **"الفلسفة النسبية".**

أعطت هذه النظريات أبعادا أثّرت في زوايا الفكر التاريخي الإنساني واللاهوتي خصوصا. لأنه إذا ساد نمط أو فكر حيوي جوهري ينعكس تأثيره على كل مجالات الحياة.

المطلب الأول: مفهوم الفلسفة النسبية

إن **النسبية** من أشهر النظريات الحديثة التي علا ذكرها في ساحة البحث العلمي والفكري العالمي. وهي مفهوم ومصطلح شاع استعماله في الأزمنة الأخيرة، خاصة في المجالات المعرفية، والبحوث العلمية عن تاريخ الأديان والمذاهب العقدية، والقضايا الفلسفية والميتافيزيقية.

فالنسبي (RELATIF)، بكل معانيها تتعارض مع المطلق، والذي لا يكتفي بنفسه، ومالا يمكن إقراره دون حصر أو قيد[58]. **والنسبية:** "مذهب يقرّر أن كلّ معرفة (أو كل معرفة إنسانية) فهي نسبية"[59].

أما نظرية **النسبية العلمية** اقترنت باسم العالم الفيزيائي **ألبرت آنشتاين**[60] الذي ارتسم في ذهن العالم إبان الثورة العلمية الكبرى التي شهدها العالم في النصف الأول من القرن العشرين[61]، عندما قدّم فروض نظرية في الفيزياء العلمية غيرت الكثير من المفاهيم المتعلقة بالفيزياء الكلاسيكية التي سادت 200 سنة منذ زمن **نيوتن**، إلى أن ظهرت نظرية **آينشتاين** في بداية القرن العشرين، والتي تعتبر إحدى أسس الفيزياء الحديثة.

المطلب الثاني: من النسبية العلمية إلى النسبية التاريخية ـ نسبية المعرفة الدينية ـ

إن النزعة النسبية فلسفة متأصّلة في الحركة التاريخية للفلسفة، ويؤكّد **دلتاي** على أن الفلسفة مثلها مثل أيّ شيء آخر في الحياة الإنسانية هي نسبية كل النسبية. يقول: "إن فصل الخطاب في التصوّر التاريخي للعالم هو نسبية كل تصور إنساني، وكل شيء يتحرّك ويتغيّر، ولا يبقى شيء ثابتا. ويأتي تأثير **دلتاي** العظيم على الفلسفة الأوربية في القرن العشرين الميلادي من قوله بالنسبية، ومن مقابلته بين العقل والحياة، رغم أن لفلسفته جوانب أخرى متعدّدة"[62].

فنسبية الحقيقة والمعرفة جذر من جذور عقيدة **المذهب الشكّي**[63] في أوروبا، فهي عقيدة "تقول بأن صواب الفعل أو الحكم يكون بالنسبة للظروف التي جرى فيها الفعل أو صدر في إطارها الحكم"[64]. والتي تعرف **بالنسبية التاريخية**. فكل حدث تجسّد في التاريخ يرتبط بظروف الزمان والمكان المحيطة به. وحينئذ تُطرح هنا فكرة نسبية المعرفة، "أي أن كل معرفة هي نسبة ذات وموضوع تجعل كلا منهما

مشروطا بالآخر ويحدّده. ولكلّ عقل قوالبه التي يَصبُّ فيها المعطيات، ومن ثمّ تختلف صور المعرفة باختلاف العقول. ونسبية المعرفة تكون من ثلاثة وجوه: نسبة بين حدّين يجمع بينهما في الحكم، ونسبة بين ذات عارفة وموضوع معروف يحدّ أحدهما الآخر، ونسبة بين جوهر وعرض، فإنها تقوم في نسبة بين حدّين يَجمع ويكوّن إدراك الفكرة بالنسبة لغيرها من الأفكار المخالفة أو المشابهة لها التي سبقتها. ولذلك فإن الإدراك نسبي ومشروط"[65]. **فالنسبية** إذن: "مذهب يقرّر أن كلّ معرفة (أو كل معرفة إنسانية) فهي نسبية"[66].

وهذا ما أكّد عليه **دلتاي** على أن الفلسفة وشتى علوم الحياة نسبية، يقول: "إن فصل الخطاب في التصور التاريخي للعالم هو نسبية كل تصور إنساني، وكل شيء يتحرك ويتغير، ولا يبقى ثابتاً"[67].

فنسبية المعرفة عند **دلتاي وجون ستيوارت ميل وهيرش وكانت** "تؤكّد أن العقل لا يستطيع أن يعرف كل شيء، فإذا عرف بعض الأشياء لم يستطع أن يحيط بها إحاطة تامة. وما من فكرة في العقل إلا كان إدراكها تابعا لمعارضتها بفكرة سابقة مختلفة عنها أو شبيهة بها، لذلك كان من المحال إدراك المطلق، لأنه لا يتصور وجود شيء خارجه حتى يعارض به. وإذا كان العقل كما يقول **كانت** صائغا، يكيّف معطيات التجربة ويصوغها وفق قوالبه الخاصة، فلا تعجب لاختلاف صور المعرفة باختلاف قوالب الصائغ"[68].

أي أن العقل مهما بلغ ذروة الاجتهاد الفكري، فهناك بالضرورة عقل مجتهد آخر يعارضه، يماثله في قوة الرأي أو يتجاوزه، ذلك أن مولّدات الأفكار تختلف حسب تكوين الصائغ. "فكل إدراك إذن نسبي ومشروط، والمطلق لا يدرك"[69]. فإدراك الحقيقة المطلقة التامة مستحيلة في المنطق العقلي لدي المذهب العقلي التنويري والفكر الوجودي. فالنسبية إذن هي: "الرأي الذي يقول بأن الحقيقة نسبية وتختلف من فرد إلى آخر، ومن جماعة إلى أخرى، ومن وقت إلى آخر، وليس لها معيير موضوعية"[70].

لتنتقل نسبية المعرفة من الفلسفة الوجودية الظاهراتية إلى الحقول اللاهوتية، فإن نهاية الفلسفة بداية اللاهوت[71]. "وهذه هي الجذور الفلسفية التي أسّست لنسبية المعرفة. ممّا فتح الباب أمام كلّ أشكال المعرفة وجعلها لا تخرج عن دائرة النسبية. حتى تلك المعرفة التي يمكن أن تحصل من دلالات النص، وما يهمنا هنا بالتحديد النص الديني، وما يحمله من فهم نسبي باعتبار أن الأفق المعرفي غير محصور ما دامت المعرفة وليدة تجارب حياتية تاريخية لا نهائية"[72].

وبالتالي فإن التّأسيس الفلسفي للنسبية يرتكز على: "التفريق بين ماهو نسبي وما هو مطلق، أي خارج حدود التجربة. وليس المقصود التجربة بالمعنى العلمي، وإنّما التجربة الشعورية التي يعيشها الإنسان ضمن المعطى الحياتي، وما يؤثّر فيها من بعد اجتماعي وتاريخي وسياسي، أو بمعنى عام هي الفعل الشعوري للحياة، وأما المطلق باعتبار أنه خارج حدود التجربة فهو بالتالي خارج حدود المعرفة. وهذا هو المرتكز الذي تنطلق منه الهرمنيوطيقا لإثبات ضرورة تعدّد الفهم، وبذلك تدخل الفلسفة النسبية في إطار فهم النصوص، مستبعدة أيّ فهم محدّد يتحاكم لديه النص"[73].

وبالتالي فالنسبية تحتّل حيّزا عريضاً في الفكر العقلاني العلماني الحديث، والذي له "رؤية شاملة للعالم ذات بُعد معرفي (كلّي ونهائي)، تحاول بكلّ صرامة تحديد علاقة الدين والمطلقات والماورائيات (الميتافيزيقية) بكلّ مجالات الحياة. وهي رؤية عقلانية مادية تدور في إطار المرجعية الكامنة والواحدية المادية التي ترى أن مركز الكون كامن فيه، وأن العالم بأسره مكوّن أساسا من مادة واحدة، ليست لها أية قداسة ولا تحوي أية أسرار، ولا تكترث بالثوابت والمطلقات"[74]. وهذه هي **العلمانية** التي "لا يوجد فيها

مجال لسوى حيّز واحد هو الحيّز الطبيعي/المادي، ويتفرّع عن هذه الرؤية منظومات معرفية (الحواس والواقع المادي مصدر المعرفة، فالعالم المعطي لحواسنا يحوي داخله ما يكفي لتفسيره والتعامل معه). كما يتفرّع عنها رؤية أخلاقية (المعرفة المادية هي المصدر الوحيد للأخلاق...)، وأخرى تاريخية (التاريخ يتّبع مساراً واحداً..)، ورؤية للإنسان (الإنسان جزء لا يتجزّأ من الطبيعة/المادة..) كل هذا يعني أن كل الأمور في نهاية الأمر، وفي التحليل الأخير **تاريخانية زمنية نسبية لا قداسة لها**، مجرد مادة استعمالية"[75].

وهذا ما ارتكزت عليه العلمانية في إقرارها لمنظومة فكرية تقدّس المادة، وتفسّر الظواهر الدينية واللاهوتية باعتبارها تجارب اجتماعية وإفرازات تاريخية تكوّنت ضمن ظروف معينة عفا عنها الزمان، ولا يمكن إلا تحنيطها في تابوت التاريخية، كالأساطير والخرافات والحكايات التي أخّرت سيرورة العقل البشري.

وبالتالي: "فالعلمانية الشاملة بهذا المعنى ليست مجرد فصل الدين أو الكهنوت أو هذه القيمة أو تلك عن الدولة، أو عمّا يسمى (الحياة العامة)، وإنّما هي فصل لكلّ القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية المتجاوزة لقوانين الحركة المادية والحواس عن العالم، أي عن كل من الإنسان في حياته العامة والخاصة والطبيعة، بحيث يصبح العالم مادة نسبية لا قداسة لها"[76].

إنّ أوّل ما جَرَفه تيار العلمانية العالمية ميراث العقائد المسيحية، وكانت الاستجابة سريعة لدى كثير من المفكرين في تصميمهم الجديد للمسيحية الجديدة في العصر الحديث. وأوّل غاية لهم خلق فكر تحرّري تطوّري، تتحرّر بمقتضاه المجتمعات الغربية من وطأة العقائد اللاهوتية وأغلال السلطة الميتافيزيقية، خلاصتها وثمرتها الوصول إلى **النسبية التاريخية**.

"فلم يهيّئوا التربة لشكل جديد من المسيحية المعلمنة فحسب، وإنّما يفعلون ذلك وهم مدركون لحقيقة تاريخية مفادها أن التربة التي أعدّوها تربة غير ثابتة ودائمة التّحرك. ولعلّهم أدركوا -من خلال ذلك التحليل القائم على النسبية الذي استخدموه في تأويلاتهم الجديدة- أن الصيغة الجديدة الجديدة للمسيحية مثلها مثل كل الصيغ الجديدة التي ستعقبها لن تستقر، وإنّما ستظلّ تتغيّر وتتبدّل، بحيث تحلّ محلّ كل صيغة صيغة أخرى، وهكذا لا إلى نهاية"[77].

ليتلقّف المفكرون العرب هذه الأصول العلمانية في تحرّرها وتطوّرها ونسبيّتها. "فالعلمانية تُحرّر الإنسان من السيطرة الدينية أولاً، ثمّ الميتافيزيقية ثانيا على عقله ولغته، فالعلمنة تسحب وظيفة الدين من الحياة، وتمنع الخضوع لوصاية الدين والأنساق الميتافيزيقية المغلقة. فالعلمانية تطوّر تحرّري، **وثمرتها هي النسبية التاريخية**، وهكذا فإن التاريخ بالنسبة للعلمانيين عبارة عن سيرورة لتحقّق العلمنة"[78].

فقد كان من العقائد المشتركة لأرباب العلمانية والتأويلية العربية المعاصرة بالخصوص؛ فكرة النسبية التي انتقلت أصلا ومنبعا عن الفكر الغربي. نسبيةٌ كانت خاصةً بالمعرفة الإنسانية، لتلقي بضلالها في الفكر المعاصر على المعرفة الدينية.

خاتمة:

وختاماً فقد عرضنا هذه الفلسفات على المنظور الإنساني الأخلاقي القويم، والرأي العقلي والفطري السليم، ومحاكمات التاريخ لهذه العقائد الفلسفية، وما طرأ عليها من مراجعات نقدية، لنخلص إلى ما يلي تراتبيًا - حسب منهجية البحث-:

1- إن المادية والفلسفة الإنسية والوجودية والنسبية تمثّل الملامح الجذرية الأولى التي أسّست لنقد النصوص الدينية؛ على إثر أزمة الفكر الكنيسي مع الفلسفة والعلم.

2. ففي إطار هذا المنظور الأوربي الغربي برزت فكرة التاريخية لتأخذ أبعادا فلسفية جديدة في المنهج التاريخي الإنساني، لتصبح مسألة القراءة متعلقة بتأويل وفهم الشرائع مادياً وتطوّرياً ونسبيّاً وتاريخياً، بعيدًا عن كلّ غيب أو ميتافيزيقا.

2- إن النقد التاريخي الذي وجّهه بيكون وديكارت وسبينوزا وكونت للنصوص اللاهوتية قد لعب دورا كبيرا في التأسيس لتاريخية الأديان. إضافة لدلتاي ونيتشه وفوكو وبول ريكور أصحاب التأويلية الجديدة، فقد طرحوا إمكانية أخرى للتأويل؛ إنهم أسسوا إمكانية قيام تأويل جديد أو متجدّد.

3- أسهمت العلوم التجريبية والاكتشافات العلمية والفلسفة المادية في بروز النزعة الإنسية، نزعة تنطوي تحتها نظرة عقلانية للكون والوجود، متمرّدة عن مسمّى النظرة اللاهوتية. بل قد أعلنت بعض الفلسفات عن موت الإله وميلاد الإنسان.

4- إن المذهب الإنسيّ يرى بأن الإنسان هو من يصنع معاييره الخاصة للخطأ والصواب، والخير والشر، والجميل والقبيح. والإنسان بعد ذلك هو سيد نفسه وسيد مصيره، وهو من يتحكّم في الطبيعة والكون. وهو في الحقيقة مشروعٌ للانقلاب على فكرة الإله لصالح الإنسان، وبعث كينونته التاريخية. إن الإنسية باختصار هي تأليه الإنسان، واعتباره قيمة مطلقة في الوجود

5- لقد أدّى تمركز العقل في الفكر والوجود، وتمجيده وإحلاله محل الإله؛ إلى إنكار كلّ غيب ومقدّس، واتّساع رقعة التأويل، وأنسنة الفكر، ودنيوية النصوص الدينية. فالعقل الإنسيّ لا يؤمن بوجود قيم ثابتة توجّه سلوكه وتضبطه، بل يختار الفرد قيمه وقناعاته.

7- يرى فلاسفة الوجود الإنساني أن الوجود هو الحقيقة اليقينية الوحيدة، فلا يوجد شيء سابق عليه، ولا يوجد شيء لاحق له، وأن الدين قيدٌ وقفل وأسرٌ للإنسان.

8- الوجودية تطمح للوصول بأفكارها إلى فلسفة تضع الإنسان حرًّا متحرّرا عن كل شيء، في حياة يفرض فيها وجوده وذاته. إن الوجودية ليست مذهبا بقدر ما هي صرخة للتحرّر من سلطة الجماعة والسلطة والتقليد المتوارث.

9- لقد تألّمت الوجودية كثيراً من آثار الكهنوت الديني، لتنطلق بالفكر العالمي إلى مقبرة الكهنوت المادي الملحد، ليفسد كهنة العلم المادي أكثر مما أفسده كهنة الدين المسيحي.

10- إن المذهب الوضعي مذهب فلسفي ملحد، أراد أن يجعل الإنسان يتسيّد الطبيعة ويخضعها لحكمه وإرادته. فقد دعى **كونت** -كما وضّحنا- إلى ضرورة قيام دين وضعي جديد، يقوم على أساس عبادة الإنسانية التي تحلّ محلّ فكرة الألوهية والربانية الدينية، واستبعاد المعرفة الغيبية.

11- إن أساس تصوّر الفلسفة الوضعية هو المادة، ولا ترى فى الوجود إلا المادة، وعليه فالديانات هي مجرد تطوّر فكري.

12- ليس للنسبية المعرفية والدينية هدفٌ غير استنبات الشك العدمي الظلامي في كل مكان وزمان، وفي كلّ فكر وعقل ورأي وحقيقة، وفي كل شيء، وهذا لإغراق الإنسانية أجمع في التعدديات الخلاّقة والحيرة الهدامة، كادّعاء نسبية النصوص الدينية في الفكر العلماني، ومنه تُنزع عن الحقيقة أيّة ملكيّة خاصّة، أو قاعدة ثابتة أو مستقرة، بل تصبح مجرّد فهوم تاريخية إنسيّة متنقّلة.

15- اتّخذ مفهوم النسبية ذريعة وسبيلاً لإذابة وتمييع الحدود بين المقدّس واللامقدّس، وبين النص الديني والتأويل، بين الثابت والمتغيّر، باعتبار أن (نسبية المعرفة) تعني في إحدى تفسيراتها أن الفهوم كلّها مستقيمة، غير أنّها تبقى بأجمعها ظنية، ولا علم فيها، إلى غير ذلك من النتائج التي استنتجها التأويليون (الهرمنيوطيقيون).

اقتراحات وتوصيات:

1- إنشاء مخابر علمية مختلطة خاصة بالدراسات الدينية المعاصرة، مخابر تجمع بين طليعة الباحثين المتخصّصين في: التفسير وعلوم القرآن، العقيدة ومقارنة الأديان، العلوم الإنسانية والاجتماعية.

2- الاستفادة من مناهج البحث الحديثة في العلوم الإنسانية خدمةً للمعرفة الإسلامية تنويعاً وتثويراً. ولابدّ في ذلك من منهجية سيرٍ وفق منهج نظري عملي جماعي -مؤسّساتي-.

3- ضرورة ربط الأفكار العالمية والمناهج الإنسانية بأصولها ومنابعها الأولى، حتى تتبيّن أهدافها وحقيقتها ومخرجاتها، وما العلمانية إلا واحدة من هذه الأفكار.

قائمة المصادر والمراجع:

1. نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط7، 2005.
2. طيب تيزيني، أبو يعرب المرزوقي، آفاق فلسفية عربية معاصرة، دار الفكر، دمشق، ط1، جمادى الأولى 1433ه، آب 2001.
3. كيحل مصطفى، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، 1432ه-2011م.
4. ليو شتراوي، جوزيف كروبسى، تاريخ الفلسفة السياسية من جون لوك إلى هيدجر، تر: محمود سيد أحمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ج2، ط1، 2005م.
5. محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، تر: هشام صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1996م.
6. كرين برينتون، تشكيل العقل الحديث، تر: شوقي جلال، مكتبة الأسرة، القاهرة، د.ط، 2004م.
7. حسن جلال، الثورة الفرنسية، الجيزة، مصر، ط2، 2015م.
8. علي حرب، حديث النهايات -فتوحات العولمة ومأزق الهوية-، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2004م.
9. هانز جورج غادامير، الحقيقة والمنهج-الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية-، تر: حسن ناظم، علي حاكم صالح، ط1(مارس2007م)، دار أويا، طرابلس.
10. بول ريكور، صراع التأويلات-دراسات هيرمينوطيقية-، تر: منذر عياشي، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، يناير2005م.
11. عبد الوهاب المسيري، العلمانية تحت المجهر، عزيز عظمة، دار الفكر، دمشق، ط1، جمادى الثانية1461ه-سبتمبر2000م.
12. محمد أركون، الفكر الإسلامي -قراءة علمية-، تر: هشام صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1987م.
13. محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، تر: هشام صالح، مركز الإنماء القومي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 1996م.
14. محمد عمارة، فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين، جمعية المركز العالمي للتوثيق والدراسات والتربية الإسلامية، دط. دت
15. إ.م. بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا،تر: عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، سبتمبر 1992م.
16. الزواوي بغوره، الفلسفة واللغة، دار الطليعة، بيروت ط1، أكتوبر 2005م.
17. مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 1، يناير 2010م.

18. محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، تر: هشام صالح، ، دار الطليعة، بيروت، ط2، مارس 2005م.
19. زكي نجيب محفوظ، قصة الفلسفة الحديثة، مطبعة النشر، القاهرة، د.ط، 1355ه-1936م.
20. جيمس كولينز، الله في الفلسفة الحديثة، تر: فؤاد كامل، دار قباء، القاهرة، د.ط، د.ت.
21. سيد محمد نقيب العطاس، مداخلات فلسفيّة في الإسلام والعلمانية، تر: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، عمان، الأردن، ط1، 1420ه-2000م.
22. هشام صالح، مدخل إلى التنوير الأوربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، أيلول2005م.
23. منير البعلبكي، معجم أعلام المورد- موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين - دار العلم للملايين، بيروت، ط1 ،1992م.
24. هتشنسون، معجم الأفكار والأعلام، تر: خليل راشد الجيوسي، دار الفارابي، بيروت، ط1 .2007م.
25. جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ج2، د.ط، 1994م/1414ه.
26. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ج1، د.ط، 1982م.
27. عبد المنعم الحفني، المعجم الفلسفي، الدار الشرقية، القاهرة، ط111، 1410ه-1990م.
28. مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط11، 2009م.
29. هيدجر، ليفي ستروس، ميشيل فوكو، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، تر: عبد الرزاق الدُوَاي، دار الطليعة، بيروت، د.ط، د.ت.
30. مانع بن حمّاد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الرياض، ج2، ط4، 1420ه.
31. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001م.
32. السيد مرتضى الحسيني الشيرازي، نسبية النصوص والمعرفة -الممكن والممتنع-، دار المحجّة البيضاء، بيروت، لبنان، ط1، 1433ه-2012م.
33. نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، سينا للنشر، القاهرة، ط2، 1994م.
34. علي حرب، نقد النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط4، 2005م.
35. عبد الرحمن بدوي، نيتشه، وكالة المطبوعات، الكويت، ط5، 1975م.
36. أنيس منصور، الوجودية، دار نهضة مصر، الجيزة، ط9، سبتمبر2010م.
37. جون ماكوري، الوجودية، تر: إمام عبد الفتاح، سلسلة عالم المعرفة للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، أكتوبر1982م.

الهوامش

(1) علي حرب، نقد النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط4، 2005، ص65.

(2) أنتروبولوجيا، Anthropology: "اتّجاه فلسفي يعتمد على هذه أو تلك من سمات الإنسان لتحديد أسلوب طرح كافة القضايا الفلسفية وحلّها". مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ص104.

(3) يقول نصر حامد أبو زيد: "إن التاريخية عند غادامير وهايدغر، تاريخية الوجود الإنساني، تاريخية زمانية تعني تراكما لخبرة الوجود في الزمن. إن التاريخية -من هنا- تاريخية مثالية متعالية، وفكرة الجدل التي يقوم على أساسها الفهم عند غادامير، هي جدلية مثالية هيجلية. إن الوجود الإنساني مشروط بلحظة تاريخية معيّنة، وبإطار اجتماعي يحدّد شروط هذا الوجود وآفاقه"، نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط7، 2005، ص43.

(4) **"فالمقصود بالتنوير**: "هو الفكر الذي لا مجال فيه إلا لأحكام العقل، ولا منافس ولا خصم للعقل مهما كان هذا المنافس له في قلوب الناس وأفئدتهم من إعزاز وإكرام"، محمد عمارة، فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين، جمعية المركز العالمي للتوثيق والدراسات والتربية الإسلامية، دط، دت، ص14.

(5) عبد المنعم الحفني، المعجم الفلسفي، الدار الشرقية، القاهرة، ط1، 1990، ص15،

(6) **غادامير هنز جورج** ، hans-georg،gadamer ، (1900-2002م): فيلسوف تأويلي ألماني. قال بأن "الفهم" ضروري للوجود الإنساني، وأن الفهم يحدث ضمن التقاليد، وقد ضمّن ذلك كتابه بعنوان: "الحقيقية والطريقة" سنة 1960م. ويمكن فهم العلاقة بين النص والمفسر على أنها حوار، يضل فيه المفسر، المترجم، مفتوحا على الحقيقة في النص، هتشنسون، معجم الأفكار والأعلام، تر: خليل راشد الجيوسي، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2007، ص331.

(7) **دلثي فلهلم**، wilhelm،dilthey (1833-1911م): فيلسوف ألماني وعلَم رئيسي مشهور، من أعلام التقليد التفسيري (hermeneutics). حاجج بأن العلوم الإنسانية لا يمكنها استخدام طرائق العلوم الطبيعية نفسها، بل يجب أن تستخدم طريقة "الفهم" لاستيعاب الحياة الداخلية لثقافة غربية، أو فترة تاريخية ماضية. وهكذا وسع **دلثي** من عملية التفسير والتأويل إلى ما وراء تفسير النصوص، وهو تفسير التاريخ والثقافة الإنسانية، هتشنسون، معجم الأفكار والأعلام، م، ن، ص205،206.

(8) **انظر**: نصر حامد أبو زيد، "إشكاليات القراءة وآليات التأويل"، م، س، ص41،42، **وانظر:** هانز جورج غادامير، "الحقيقة والمنهج-الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية-"، تر: حسن ناظم، علي حاكم صالح، دار أويا، طرابلس، ط1، 2007، ص325.

(9) **شلايرماخر، فريدريتش أرنست دانيال**، (Ernst daniel schleiermacher)، (1768-1834م): لاهوتي صوفي ألماني. كان له كبير الأثر في تطور الفكر البروتستانتي، وكثيرا ما يعتبر مؤسس اللاهوت البروتستانتي الحديث. تأثر بالحركة الرومانتيكية فعرّف الدين بلغة الشعور والحدس، منير البعلبكي، معجم أعلام المورد- موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1992، ص260.

(10) هانز جورج غادامير، الحقيقة والمنهج ، م. س، ص286،

(11) **بول ريكور**، Paul Ricoeur،(1913 – 2005م): فيلسوف فرنسي ولد في فالونسيا (Valence). تأثّر بالفلسفة الوجودية، وسيغموند فرويد، وانعكس ذلك على طبيعة اللغة والتفسير والموضوعية والإرادة، من مؤلفاته: "الحرية والطبيعة -الاختياري والإجباري-" سنة 1950م، و"رمزية الشر" سنة 1960م، هتشنسون، معجم الأفكار والأعلام، م.س، ص245.

(12) **انظر:** بول ريكور، "صراع التأويلات-دراسات هيرمينوطيقية-"، تر: منذر عياشي، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2005، ص40،41.

(13) **هيردر، جوهان غوتفريد فون** herder johann gottfried von (1744-1803): ناقد ولاهوتي وفيلسوف ألماني. أحد أبرز وجوه حركة "العاصفة والإجهاد" الأدبية. عُني بدراسة الميثولوجيا والفولكلور. من أشهر آثاره: "أفكار في سبيل فلسفة لتاريخ الجنس البشري، البعلبكي، معجم أعلام المورد، م.س، ص487.

(14) **بهامش كتاب**: محمد أركون، "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني"، تر: هشام صالح، دار الطليعة، بيروت، ط2، 2005،ص 48".

(15) **ديكارت، رينيه** Rene Dedcartes (1596-1650م): فيلسوف وفيزيائي ورياضي وفرنسي. يعتبر في رأي الكثير من الباحثين أباً للفلسفة الحديثة ومؤسّسها. اكتشف الهندسة التحليلية. اشتهر بكتابه "مقالة في المنهج"، وفيه طرح كل المعتقدات السابقة ليعاود البحث عن الحقيقة شاكّاً في كل شيء إلا حقيقة واحدة وهي أنه يشكّ، ومن هنا كلمته المشهورة: "أنا أشكّ فإذن أنا أفكّر، وأنا أفكّر فإذن أنا موجود"، منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، م.س، ص196.

(16) **ليبنتز، البارون غوتفريد ولهلم فون**، Leibntiz (1646-1716م): فيلسوف ورياضي ألماني. قال بأن الطبيعة هي في جوهرها متناغمة وخيّرة، وبأنه لا تعارض بين الإيمان والعقل. ينسب إليه استنباط حساب التفاضل والتكامل. ابتكر عام 1971م أول آلة حاسبة، منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، م.ن، ص387.

(17) **غاليلو، غاليلو غاليلي** Galieleo Galilei (1564-1642م): فيزيائي وعالم فلك ورياضي إيطالي. يعتبر في رأي كثير من الباحثين واضع أسس العلم التجريبي الحديث. صنع عدة تلسكوبات، واكتشف أقمار المشتري. أيّد النظرية القائلة بأن الأرض وسائر الكواكب تدور حول الشمس، فنقمت عليه الكنيسة وحاكمته، فاضطر مرغماً إلى إعلان تراجعه، منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، م.ن، ص294.

(18) **نيوتن، السّير إسحاق** Sir Isaak Newton (1643-1727م): رياضي وفيزيائي إنجليزي. يعتبر أبرز وجوه الثورة العلمية في القرن 17م، وأحد أعظم العباقرة في تاريخ العلم الحديث. وضع النظرية الجُسيمية في الضوء، وقانون الجاذبية العام، وقوانين الحركة. من أشهر مصنّفاته: علم البصَريات"، منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، م.ن، ص462.

(19) **الحداثة** Modernity: "هي مذهب فكري أدبي علماني، أُسّس على أفكار وعقائد غربية خالصة، مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية، وتأثّر بالمذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل: السريالية والرمزية... وغيرها. وهدف مذهب الحداثة إلغاء مصادر الدين، وما صدر عنها من عقيدة وشريعة، وتحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية، بحجة أنها

قديمة وموروثة، لتُبنى الحياة على الإباحية والفوضى والغموض، وعدم المنطق، والغرائز الحيوانية، وذلك باسم الحرية، والنفاذ إلى أعماق الحياة"، مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، م.س، ص179،180.

(20) محمد أركون، الفكر الإسلامي -قراءة علمية-، تر: هشام صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1987، ص135.

(21) **الفيلولوجيا**: "أصلها كلمة إغريقية تتكون من شقين (philo) بمعنى: محبة، و(logos) بمعنى: النطق / الكلام / الجملة / اللغو. وبذلك فإن الكلمة تعني عند اليونان محبة الكلام أو المحب للنطق، أي المهتم بقضايا الكلام"، مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010، ص184،185.

- **وانظر أيضا**: الزواوي بغوره، "الفلسفة واللغة"، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص130.

(22) محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، تر: هشام صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1996، ص23.

(23) **كونت، أوغست** Auguste Connt(1798-1857م): رياضي وفيلسوف فرنسي. يعتبر مؤسّس الفلسفة الوضعية التي تعنى بالظواهر والوقائع اليقينية وحسب، وتُهمل كل تفكير تجريدي أو ميتافيزيقي. ومن الباحثين من يعتبره مؤسّس علم الإجتماع أيضا. تأثر بفلسفة سان سيمون الإشتراكية. دعى إلى الإيمان بدين جديد سمّاه "دين الإنسانية". أشهر آثاره: كتاب "مباحث في الفلسفة الوضعية"، منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، م.س، ص377.

(24) محمد أركون، الفكر الإسلامي -قراءة علمية-، م.س، ص139.

(25) هيدجر، ليفي ستروس، ميشيل فوكو، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، تر: عبد الرزاق الدُوَاي، دار الطليعة، بيروت، د.ط، د.ت، ص8.

(26) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ج1، دط، 1982، ص159.

(27) **انظر:** كرين برينتون، "تشكيل العقل الحديث"، تر: شوقي جلال، مكتبة الأسرة، القاهرة، دط، 2004، ص41.

(28) مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، م.س، ص104.

(29) هيدجر، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، م.س، ص191.

(30) إن الأنسنة أحد أكبر تجلّيات حركة التنوير على الفكر العربي والديني، والتي ألقت بفيء ظلالها على مناهج أدباء الحداثة الدينية، انطلاقاً من إنسانية الفكر العالمي كلّه، والفكر الديني ليس بمعزلٍ عنه، وإن نصر حامد أبو زيد أبرز المفكرين العرب الذين تبنوا مشروع الحداثة العالمية، ليُسقِط مشروعه الإنسانوي على النص القرآني، يقول: "إن القرآن نص ديني ثابت من حيث منطوقه، لكنه من حيث يتعرّض له العقل الإنساني ويصبح -مفهوماً- يفقد صفة الثبات، إنه يتحرّك وتتعدّد دلالته. إن الثبات من صفات المطلق والمقدّس، أمّا الإنساني فهو نسبي متغيّر، والقرآن نص مقدّس من ناحية منطوقه، لكن يصبح مفهوماً بالنسبي والمتغيّر، أي من جهة الإنسان، ويتحوّل إلى نصّ إنساني -يتأنسن-.."، نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، سينا للنشر، القاهرة، ط2، 1994، ص126.

(31) هشام صالح، مدخل إلى التنوير الأوربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص18.

(32) كيحل مصطفى، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، 2011، ص56.

(33) كيحل مصطفى، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، م.ن، ص59.

(34) مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، م.س، ص104.

(35) **انظر:** جيمس كولينز، "الله في الفلسفة الحديثة"، م.س، ص92.

(36) **سبينوزا، باروخ أو بنيديكت دو** Spinoza Baruch (1633-1677م): فيلسوف ومفكر ديني هولندي. صاحب "السبينورزية". أكّد على دور العقل في الأخلاق وما وراء الطبيعة. وكان من أكبر القائلين بوحدة الوجود والمدافعين عنها. وقد اتّهمه كثيرون بالإلحاد على الرغم من الشعور الديني العميق الذي تنبض به كتاباته. من أشهر آثاره: "كتاب الأخلاق"، منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، م.س، ص233.

(37) انظر: زكي نجيب محفوظ، "قصة الفلسفة الحديثة"، مطبعة النشر، القاهرة، دط، 1936، ص103/97.

- وانظر: جيمس كولينز، "الله في الفلسفة الحديثة"، م.س، ص103/93.

(38) انظر: زكي نجيب محفوظ، "قصة الفلسفة الحديثة"، م.س، ص111 وما بعدها.

(39) كرين برينتون، تشكيل العقل الحديث، م.س، ص94.

(40) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، م.س، ص340، بتصرف.

- انظر: جيمس كولينز، "الله في الفلسفة الحديثة"، م.س، ص247/235.

(41) **نيتشه، فريدريتش فلهلم** Nietzsche Friedrich Wilhelem (1844-1900م): فيلسوف ألماني. أنكر البعث والحساب، ودعا إلى اطّراح العبادة مناديا بضرورة انصراف الإنسان إلى الإرتفاع بذاته حتى يبلغ مرتبة "الإنسان الأسمى"، أو السوبر مان. تأثّرت النازية بآرائه تأثرا كبيرا. أصيب بانهيار عصبي، فقضى بقية حياته في مستشفى للأمراض العقلية. أشهر آثاره: "هكذا تكلّم زرادشت" بأجزائه الأربعة، منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، م.س، ص461.

(42) كان **نيتشه** طالبا في علم اللاهوت في معهد سان سليبس الديني لكي يتخرّج من بعد قسّيساً. لم يستطع البقاء في هذا المعهد لأن شكوكه الدينية قد طغت عليه، ولم يعد يؤمن بالمعجزات ولا بالكثلكة. وأصبح ينظر إلى المسيحية نظرة جديدة لا تتفق مطلقاً مع نظرة القسّيس. لأن النقد التاريخي قد زعزع إيمانه بالكثير من المعتقدات التي تلقّاها عن شيوخه القساوسة. بل كاد يعصف بها كلها، تاركاً في حياته النفسية الباطنة فراغاً عميقاً وهوّة ساحقة، وصفهما وصفا رائعا في "ذكريات الطفولة والشباب"، عبد الرحمن بدوي، نيتشه، وكالة المطبوعات، الكويت، ط5، 1975، ص48.

(43) كيحل مصطفى، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، م.س، ص64.

(44) كيحل مصطفى، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون م.ن.

(45) عبد المنعم الحفني، لمعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، م.س، ص935.

(46) جون ماكوري، الوجودية، تر: إمام عبد الفتاح، سلسلة عالم المعرفة للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1982، ص74.

(47) أنيس منصور، الوجودية، دار نهضة مصر، الجيزة، ط9، 2010، ص15.

(48) كرين برينتون، تشكيل العقل الحديث، م.س، ص32.

(49) انظر: جيمس كولينز، "الله في الفلسفة الحديثة"، م.ن، ص341.

(50) علي حرب، حديث النهايات -فتوحات العولمة ومأزق الهوية-، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2004، ص73.

(51) محمد أركون، الفكر الإسلامي-قراءة علمية-، م.س، ص139.

(52) انظر: حسن جلال، "الثورة الفرنسية"، الجيزة، مصر، ط2، 2015.

(53) عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، م.س، ص944.

(54) طيب تيزيني، أبو يعرب المرزوقي، آفاق فلسفية عربية معاصرة، دار الفكر، دمشق، ط1، 2001، ص329.

(55) عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، م.س، ص943،944.

(56) مانع بن حمّاد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الرياض، ج2، ط4، 1420، ص811.

(57) محمد أركون، الفكر الإسلامي-قراءة علمية-، م.س، ص139.

(58) **انظر:** أندريه لالاند، "موسوعة لالاند الفلسفية"، ج1، م.س، ص1196،1197.

(59) جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ج2، دط، 1994، ص466.

(60) **آينشتاين، ألبرت** Albert Einstein (1879-1955م): فيزيائي أمريكي. ألمانيّ المولد. يعتبر أحد أعظم عباقرة العلم في مختلف العصور. استقرّ في الولايات المتّحدة الأمريكية عام 1933 فرارا بنفسه من الحكم النازي. وضع نظرية النسبية Relativity، منح جائزة نوبل في الفيزياء لعام 1921م. من آثاره: "معنى النسبية"، "بناة الكون"، منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، م.س، ص14.

(61) انظر: كرين برينتون، "تشكيل العقل الحديث"، م.س، ص257/260.

(62) إ.م. بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر: عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1992، ص170.

- انظر: ليو شتراوي، جوزيف كروبسى، "تاريخ الفلسفة السياسية من جون لوك إلى هيدجر"، تر: محمود سيد أحمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ج2، ط1، 2005، ص586/608.

(63) **المذهب الشكّي، أو الشكوكية**: مدرسة فلسفية شكيّة، ومنهج مستخدم في العديد من الحقول الأكاديمية والثقافات. الشكوكي يتفحّص بشك بعين ناقدة معاني الأنظمة، والبُنى الموجودة في أيّ قضية أو زمن، هذا الشكّ يمكن أن يتراوح من انعدام إيمان كامل في الحلول الفلسفية الراهنة إلى لا أدرية، أو حتى رفض واقع العالم الخارجي، منير البعلبكي، المعجم الفلسفي، م.س، ص276.

- انظر: عبد المنعم الحفني، "المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة"، م.س، ص784،785.

(64) عبد المنعم الحفني، "المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة"، م.ن، ص875.

(65) عبد المنعم الحفني، "المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة"، م.ن، ص876.

(66) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، م.س، ص466.

(67) إ.م.بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوربا، م.س، ص170.

(68) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، م.س، ص467.

(69) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، م.ن، ج2، ص466.

(70) طيب تيزيني، آفاق فلسفية عربية معاصرة، م.س، ص329.

(71) انظر: "تاريخ الفلسفة الحديثة"، يوسف أكرم، 354.

(72) السيد مرتضى الحسيني الشيرازي، نسبية النصوص والمعرفة -الممكن والممتنع-، دار المحجّة البيضاء، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص13.

(73) انظر: السيد مرتضى الحسيني الشيرازي، نسبية النصوص والمعرفة -الممكن والممتنع-، م.ن، ص13،14.

(74) عزيز عظمة، العلمانية تحت المجهر، عبد الوهاب المسيري، دار الفكر، دمشق، ط1، 2000، ص120.

(75) عزيز عظمة، العلمانية تحت المجهر، عبد الوهاب المسيري، م.ن، ص121.

(76) عزيز عظمة، العلمانية تحت المجهر، عبد الوهاب المسيري، م.ن، ص 121، 122.

(77) سيد محمد نقيب العطاس، مداخلات فلسفيّة في الإسلام والعلمانية، تر: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، عمان، الأردن، ط1، 2000، ص30.

(78) سيد محمد نقيب العطاس، مداخلات فلسفيّة في الإسلام والعلمانية، م.ن، ص42،43.